# وقفة في سلع

وهي المعروفة بوادي موسى او البتراء

للشيخ فؤاد باشا الخطيب

تلك القبور ، ومائل الاطلال ... صُحُفٌ منشّرة وذكرُ مالِ
للنفس بينهما وحولَ حماهما ... عظةٌ ومسرحُ عبرة وجلالِ
ان ناح مرتجزُ السحاب عليهما ... فاستسقِ صيّب دمعك الهطّالِ
هي (سلع) والبتراء ترجمة اسمها ... نسجت عليه عناكب الاهمالِ
وادلُّ منهُ ومن معاهد انسها ... زمن يروّع كلَّ ناعم بالِ
فاذا العروبة عجنة ممسوخة ... واذا المنازل والديار خوالِ
وادٍ تحفُّ به الشوامخُ ممعنٌ ... في السمح اربدُّ قالص السربالِ
يندسُّ آونة ويسنح تارة ... بين الوهاد — ومن وراء جبالِ
متعرجٌ يلتفّ غير معرّج ... ومجول حين يهيم كلَّ مجالِ
فلو انّ مرتاعاً بروع مشرّداً ... ما كان اعجب منهُ في الايغالِ
متجاوب الاصداء نسمع كلما ... اصغيت فيه هاتفَ الاغوالِ
إن صرّحتْ باليأس منهُ امدّها ... املٌ على الايام ليس بسالِ

* * *

شقَّ الاديم ان الصميم مهزولاً ... في الارض بين حزونة ورمالِ
ذكر القطين لجدّ يهبط خلفهم ... يتقحم الاعماق غير مبالِ
قد كان متّجع العفاة ولم يزل ... بعد العفاء محطَّ كلِّ رحالِ
لمشمّر بين البلاد ، عمّر ... نبأ العباد ، وسائح جوّالِ
قلق الجنان كأنَّ كلَّ طمرّة ... سرح اليدين عليهِ ذات شكالِ
غبرت تعفّ على الشكيم تغيظاً ... وتدبّ بين تعسف وخبالِ
تترقب القدر المتاح تلفتاً ... فتغصُّ حين تهم بالتسهالِ
ويهولها الامد السحيق كأنها ... تجتاز فوقَ مزالق الاجيالِ

* * *

اشرفتُ منهُ على العصور تمثلتْ ... ومشيت بين هدى وبين ضلالِ

وشققت جيب الارض من اطرافها حتى انتهيت اليه نصو كلال
وشهدت فيه مدينة سحرتهُ في الصخر تحت مشيَّد التمثال
موصولة حجراتها بشبابك نقراً على عُمُد طِوَال طوال
لبست إياة الشمس في ابوابها وزهت بابرع زخرف وصقال
والقصر نحو القصر ينظر شاخصاً نظر المدلِّه مؤذناً بزوال
ان ورَّع العبرات جاش اتيُّها وَهَمتْ سحالٌ منهُ بعد سجال

* * *

ومغارةٍ وقفت حيالَ مغارةٍ ومدرَّج في إثر آخرَ تال
يتشعَّث الدرج الشتيت خلالها كخطوط أعسر او دبيب نمال

* * *

بلد كأنَّ يداً دَحتْهُ نثرنَ من قُلَل الجبال ممزَّقَ الاوصال
فهنا الصخور على الصخور تحطمتْ وهناك منهُ حقيقة كخيال
او كالطلاسم فوق مُهرق ساحرٍ في كلِّ زاوية خبيئة حالِ
موتٌ تطوف به الحياة وموقفٌ خشعت لديهِ طوارق الاهوال
تمضي القرون على القرون كأنها وقد انحدرْنَ اليهِ بضعُ ليالِ

* * *

فانظر الى الامصار كيف تكدَّرتْ والى القضاءِ يصولُ كل مصالِ
والى الانام تلقُّهم اكفانهم بعد الجهادِ ونضرةِ الآمالِ
وانزع الى الملك المهيمن فوقهم فالعلمُ ملءُ تنفُّس الجهَّالِ
وجدالُ دجَّالٍ وسخف موسوسٍ يتشدقان بطائش الاقوالِ

* * *

تلك الربوع فسلْ بها آثارها واسمع فثمَّ جواب كلِّ سؤالِ
فلعلَّ عن (موسى الكليم) محدثاً بين التلاع يصيحُ والادحالِ
ولعلَّ (طور سنين) بين هضابها باقٍ كمهدِ الوحي غير مذالِ
واذا اقتبستَ من الطرائف حكمةً فلقد افدْتَ غنىً وحسْنَ مآلِ

* * *

سبحان من يهب الحياةَ تبرعاً من قبل ايِّ رضى وايِّ سؤالِ
متصرف في الكون غير مفرِّط يبني الجديد من القديم البالي
كتب الخلود على الوجود فلم يكنْ في الموتِ غير تحوُّلِ الاشكالِ